

٧٥ - باب العفو والإعراض عن الجاهلين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩] وقال تَعَالَى: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر: ٨٥]، وقال تَعَالَى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} [النور: ٢٢]، وقال تَعَالَى: {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤] وقال تَعَالَى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: ٤٣] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

=====

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) .

تقدم تفسيرها .

وقال تَعَالَى (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) .

أمر الله جل وعلا نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يصفح عمن أساء الصفح الجميل، أي بالحلم والإغضاء.

والصفح الجميل: ترك المؤاخذه على الذنب، وإغضاء الطرف عن مرتكبه بدون معاتبة.

قال علي وابن عباس: الصفح الجميل: الرضا بغير عتاب. وأمره ﷺ يشمل حكمه الأمة. لأنه قدوتهم والمشرع لهم.

وبين تعالى ذلك المعنى في مواضع آخر:

كقوله (فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون).

وقوله (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا).

وقوله (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ).

وقوله (فاعفوا واصفحوا حتى يَأْتِيََ اللَّهُ بِأَمْرِهِ).

من فوائد الآية :

١- فضل الصفح والعفو .

٢- الحث على العفو والتسامح مع من أساء.

٣- الصفح الجميل هو العفو من غير عتاب مؤذٍ ولا انتقام.

٤- تربية النفس على الحلم وضبط الغضب.

٥- أن العفو لا يعني الضعف، بل قد يكون من قوة النفس وحسن الخلق.

٦- الإحسان إلى الناس سبب في صلاح العلاقات وتقليل الخصومات.

٧- الاقتداء بهدي النبي ﷺ في الصبر على أذى الناس وحسن معاملتهم.

وقال تَعَالَى (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) .

في هذه الآية فضل العفو والصفح وأنه سبب لمغفرة للذنوب .

قال القرطبي : العَفْوُ: تَرُكُ الْمُؤَاخَذَةِ بِالذَّنْبِ. وَالصَّفْحُ: إِزَالَةُ أَثَرِهِ مِنَ النَّفْسِ. صَفَحْتُ عَنْ فُلَانٍ: إِذَا أَعْرَضْتُ عَنْ ذَنْبِهِ .

قال ابن كثير: هذه الآية نزلت في الصديق حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال،... فلما

أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد

على من أقيم عليه؛ شرع تبارك وتعالى -وله الفضل والمنة- يُعْطِفُ الصَّدِيقَ عَلَى قَرِيْبِهِ وَنَسِيْبِهِ، وهو مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ؛ فَإِنَّهُ كَانَ

ابن خالة الصِّدِّيقِ، وكان مِسْكِينًا لا مالَ له إلَّا ما يُنْفِقُ عليه أبو بكرٍ رضي الله عنه، وكان من المهاجرين في سبيلِ الله، وقد وَلَقَّ وَلَقَّةً تاب الله عليه منها، وضُرِبَ الحَدُّ عليها. وكان الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عنه معروفًا بالمعروفِ، له الفضلُ والأَيادي على الأقاربِ والأجانبِ. فلمَّا نزلت هذه الآيةُ إلى قوله: أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ أي: فَإِنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ، فكما تَغْفِرُ عن المذنبِ إليك نَغْفِرُ لك، وكما تَصْفَحُ نَصْفَحُ عنك. فعند ذلك قال الصِّدِّيقُ: بلى، واللهِ إِنَّا نُحِبُّ -يا رَبَّنَا- أَنْ تَغْفِرَ لنا! ثُمَّ رَجَعَ إلى مِسْطَحٍ ما كان يَصِلُهُ من النَّفَقَةِ، وقال: واللهِ لا أَنْزِعُها منه أَبَدًا، في مقابلةِ ما كان قال: واللهِ لا أَنْفَعُهُ بِنَافِعَةٍ أَبَدًا؛ فلهذا كان الصِّدِّيقُ هو الصِّدِّيقُ رضي الله عنه وعن بنته .

من فوائد الآية :

فضل العفو والصفح .

أن العفو سبب لمغفرة الذنوب .

أن الله عفو يحب العافين .

وقال تَعَالَى (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

تقدم تفسيرها .

وقال تَعَالَى (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) .

يخبر تعالى أن من صبر على ما يناله من أذى الخلق (وَعَفَرَ) لهم، بأن سمح لهم عما يصدر منهم، (إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أي: لمن الأمور التي حث الله عليها وأكدها، وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والبصائر.

فإن ترك الانتصار للنفس بالقول أو الفعل، من أشق شيء عليها، والصبر على الأذى، والصفح عنه، ومغفرته، ومقابلته بالإحسان، أشق وأشق، ولكنه يسير على من يسره الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان الله على ذلك، ثم إذا ذاق العبد حلاوته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه. ... (تفسير السعدي)

من فوائد الآية :

١- فضل الصبر عند التعرض للأذى والمكروه.

٢- الحث على العفو والمغفرة، وعدم مقابلة الإساءة بمثليها.

٣- أن العفو مع القدرة على الانتقام من الأخلاق العظيمة.

٤- أن من كمال الإيمان أن يتحمل المسلم الأذى، ويضبط غضبه، ويعفو ابتغاء مرضاة الله.

٥- أن العفو لا يعني الضعف، بل قد يكون دليلاً على قوة النفس وحسن الخلق.

٦- وصف الله هذا الخلق بأنه (مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أي من الأمور التي تدل على قوة العزم وسمو الخلق.

٦٤٢ - عن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت للنبي ﷺ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟ قَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَطَبَّقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ ». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا (متفقٌ عَلَيْهِ. «الْأَخْشَبَانِ»: الْجَبَلَانِ الْمُحِيطَانِ بِمَكَّةَ. وَالْأَخْشَبُ: هُوَ الْجَبَلُ الْغَلِيطُ.

=====

(هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟) تعني: يوم غزوة أحد التي كانت في سنة ثلاث من الهجرة؛ كأن عائشة - رضي الله عنها - تظن أن ما لقيه النبي ﷺ يوم أحد أشد ما لقيه.

(قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ (قريش .

(وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ...) (يوم العقبة) هو اليوم الذي وقف فيه النبي ﷺ عند العقبة التي بمضى، وهي التي تُنسب إليها جمة العقبة، داعيًا الناس إلى الإسلام، فما أجابوه، بل آذوه، وذلك اليوم صار معروفًا.

وقال القرطبي رحمه الله: "يوم العقبة": هو اليوم الذي لقي فيه ابن عبد ياليل بن عبد كلال في آخرين، فكذبوه، وسبوه، واستهزؤوا به، فرجع عنهم، فلقى سفهاء قريش، فرمّوه بالحجارة، حتى أدموا رجله، وآذوه أذى كثيرًا.

(إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ (ليقبلوا دعوته .

(فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ) أي : لم يطعني .

(فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي) أي: ذهبت هائمًا على الجهة المواجهة لي، لا أدري أين أتوجه، من شدة ما استتبعه عدم إجابته .

(فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ) قال النووي: "لم أستفق"؛ أي: لم أُوطن لنفسي، وأتنبه لحالي، وللموضع الذي أنا ذاهب إليه، وفيه، إلا وأنا عند قرن الثعالب؛ لكثرة همي الذي كنت فيه .

البحر المحيط الشجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (٣١ / ٣٣٩)

و(قَرْنُ الثَّعَالِبِ) هو بفتح القاف، وسكون الراء، و"الثعالب": جمع الثعلب الحيوان المشهور، وهو موضع بقرب مكة.

وقال النووي: هو ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل - بفتح الميم - ويقال: هو على مرحلتين من مكة، وأصل القرن: كلُّ جبل صغير منقطع من جبل كبير.

وقال القاضي عياض: يقال فيه: قرنٌ غير مضاف، على يوم وليلة من مكة، قال: ورواه بعضهم بفتح الراء، وهو غلط.

(فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَتَنَظَّرْتُ) إلى السحابة .

(فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ) عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ) فيه إثبات صفة السمع لله تعالى .

(وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ) أي: الملك الموكل بالتصرف في الجبال .

(لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ) أي: من إهلاكهم بإطباقها عليهم .

(إِنْ شِئْتَ أَطَبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ) أي : إن شئت أن أضُمَّ الجبلين، وأجعلهما كالطبَّق عليهما حتى يهلكوا فعلثُ .

و«الأخشبان»: الجبلان المحيطان بمكة. والأخشب: هو الجبل الغليظ.

(فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ) أي : للملك .

(بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ) أي : من ظهورهم .

(مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) وقد حقق الله سبحانه وتعالى رجاءه، فأخرج الله تعالى من أصلابهم رجالاً كانوا

يعبدونه حقَّ عبادته، قاموا بالتوحيد، ونُشِرَ الدعوة إلى الله عز وجل في أصقاع الأرض (رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ

اللَّهِ) وهم: من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم.

١- الحديث دليل على عفو النبي ﷺ وسعة حلمه .

ومن الأمثلة على عفوهِ ﷺ :

ما جاء عن ابن مسعود قال (كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربَه قومه فأذَمَّوه، فهو يمسح الدم عن وجهه

ويقول (اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون) متفق عليه .

انظر ما في هذا القول من جَماع الفضل، ودرجات الإحسان، وحُسن الخلق، وكرم النفس، وغاية الصبر والحلم؛ إذ لم يقتصر ﷺ

على السكوت عنهم حتى عفا عنهم، ثم أشقَّ عليهم ورحمهم، ودعا وشفَّع لهم، فقال: اغفر، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة

بقوله: لقومي، ثم اعتذر عنهم بجهلهم، وقال: فإنهم لا يعلمون .

ومن الأمثلة :

عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال (لما كان يومُ حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القِسْمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائةً من الإبل،

وأعطى عُيَيْنَةَ مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشرف العرب، فأثرهم يومئذٍ في القسمة، فقال رجل: والله إنَّ هذه القِسْمة ما عُذِلَ

فيها، وما أريدُ بها وَجْهُ اللهِ! فقلت: والله لأخبرنَّ النبيَّ ﷺ، فأثبته فأخبرته، فقال: فَمَنْ يعدلُ إذا لم يعدل اللهُ ورسوله؟! رَحِمَ اللهُ

موسى؛ قد أودى بأكثر من هذا فصبر) متفق عليه .

ففي هذه القصة يتضح حلم النبي ﷺ وصبره على الأذى، وكظمه للغيط، وتسلييه بإخوانه النبيين، مصداقاً لقوله تعالى (أُولَئِكَ

الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدَى).

ومن حِلْمِهِ ﷺ : أنه لم يحفظ عنه قط أنه ضرب امرأة ولا خادماً، ولا انتقم لنفسه قط، إلا إذا انتهكت محارم الله .

وعندما سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها: (كَيْفَ كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَهْلِهِ؟) قَالَتْ: (كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا؛ لَمْ يَكُنْ

فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا صَحَابًا بِالْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِنْهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ) .

ومن الأمثلة :

ما جاء عن أنس ﷺ قَالَ (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكَ أَعْرَافِي فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً

شَدِيدَةً، فَتَنَظَّرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ

الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَصَحَّكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ) متفقٌ عليه.

ومن الأمثلة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ : (دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء؛ فإنما يُعْثَم مُعْثَرِينَ، ولم تُبْعَثُوا مُعْثَرِينَ) رواه البخاري .
ومن الأمثلة :

ما جاء في الحديث (نزل النبي ﷺ تحت شجرة فعلق بها سيفه، ثم نام، فاستيفظ وعنده رجل وهو لا يشعر به فقال النبي ﷺ : إن هذا اختط سيفي، فقال: من يمنعك؟ قلت: الله، فشام السيف، فما هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه) متفق عليه .
ومن الأمثلة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه (أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهم به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ : دعوه؛ فإن لصاحب الحق مقالاً، ثم قال: أعطوه سنًا مثل سنه، قالوا: يا رسول الله، إلا أمثل من سنه، فقال: أعطوه؛ فإن من خيركم أحسنكم قضاء). متفق عليه
ومن الأمثلة :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك؟ فقالت: أردت لأقتلك، قال: ما كان الله لِيُسَلِّطَكَ على ذاك، قال: أو قال (علي) قال: قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا، قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ).
فالنبي ﷺ عفا عن هذه المرأة اليهودية -وهي زينب أخت مَرْحَبٍ اليهوديِّ الخَيْرِيِّ الذي قَتَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ- التي سَمَّت الدَّرَاعَ يَوْمَ خَيْبَرَ، فدعاها فاعترفت، فأطلقها ﷺ، ولكن لما مات منه بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ قَتَلَهَا به .
ومن الأمثلة :

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال (سحر النَّبِيُّ ﷺ رجلٌ من اليهود، فاشتكى لذلك أَيْامًا، قال: فجاءه جبريلُ عليه السلام، فقال: إِنَّ رجُلًا من اليهود سحرَكَ، عَقَدَ لك عُقْدًا في بئر كذا وكذا، فأرسل إليها مَنْ يَجِيءُ بها، فَبَعَثَ رسولُ الله ﷺ عليًا رضي الله عنه، فاستخرجها، فجاء بها فحلَّها، قال: فقام رسولُ الله ﷺ كأنما نُشِطَ من عِقَالٍ، فما ذَكَرَ لذلك اليهوديِّ، ولا رآه في وَجْهِهِ قَطُّ حَتَّى مات). رواه البخاري

قوله: (فما ذَكَرَ لذلك اليهوديِّ) أي: لم يذكر النَّبِيُّ ﷺ لليهوديِّ السَّاحِرِ سحره الذي شاهده، والظاهرُ أَنَّهُ أراد: لم يُعَاتِبْهُ على ذلك، بل عفا عنه، كما هو هَدْيُهُ ﷺ في العَفْوِ والصَّفْحِ عَمَّنْ اعتدى عليه، فلا يُنَابِي ما ورد: أَنَّهُ ﷺ أَخَذَهُ، فاعترف .
ومن الأمثلة :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال (كُنَّا في غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاريُّ: يا لَأنصار! وقال المهاجريُّ: يا لَلمُهَاجِرِينَ! فَسَمِعَهَا اللهُ رسولُه ﷺ قال: ما هذا؟ فقالوا: كَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاريُّ: يا لَأنصار! وقال المهاجريُّ: يا لَلمُهَاجِرِينَ! فقال النَّبِيُّ ﷺ: دَعَوْهَا؛ فَإِنَّمَا مُنْتِنَةٌ، قال جابرٌ: وكانت الأنصار حينَ قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ المُهَاجِرُونَ بَعْدُ، فقال عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ: أَوَقَدَ فَعَلُوا؟ وَاللهُ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ، فقال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: دَعْنِي يَا رسولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هذا المُنَافِقِ! قال النَّبِيُّ ﷺ: دَعْنِي؛ لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ) متفق عليه .

قال ابن عبد البر : وكان على خُلُقٍ عَظِيمٍ مِنَ الحِلْمِ والتَّجَاوُزِ ﷺ .
وعن عائشة رضي الله عنها قالت (ما انتقم رسولُ الله ﷺ لِنَفْسِهِ في شيء قطُّ إِلَّا أن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ بها اللهُ). متفق عليه

قال القاضي عياض: فيه ما كان عليه ﷺ من الحلم والصبر .

ومن أشهر عفو النبي ﷺ وحلمه: يوم الفتح العظيم حين مكّنه الله من رقاب من آذوه وسعوا لاغتياله، فلما وقف أمامهم قال: (لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء) .

هكذا بمنتهى البساطة ينسى الإساءة، ويتجاوز عمن دبروا أبشع المؤامرات لسفك دمه ﷺ ، دون شروط، ودون من . وهذا كله يؤكد أن رضاه ﷺ وعفوه إنما كان لله، لا لهوى في نفسه، وأن جانب الرحمة والصفح والمغفرة كان دائماً هو البارز والواضح من أخلاقه ﷺ .

٢- وللعفو مكانة عظيمة؛ لأنه صفة من صفات العلي العظيم، الذي له صفات الكمال .

قال تعالى (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) .

وقال تعالى (وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْصَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وقال (إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا قَدِيرًا) .

وقال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

وقال ﷺ (وما ازداد عبد بعفو إلا عزاً) .

٣- عدم اليأس من هداية الناس، ورجاء الخير في ذرياتهم وأجيالهم القادمة ولو أصر الآباء على العناد .

٤- تأييد الله لأولياته ، بإنزال الملائكة لتثبيت النبي ﷺ بعد وصول الهم والمشقة غايتها، دليل على قرب الفرج وتأييد الله لرسله

٥ - الحديث دليل على صبر النبي ﷺ على آذاه.

أ- عن عبد الله قال (قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قِسْمَةً كَبْعُضٍ مَا كَانَ يَقْسِمُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَاللَّهِ إِذَا لَقِسْمَةً مَا أُريدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ قُلْتُ أَمَا أَنَا لِأَقُولَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ فَسَارَزْتُهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَغَضِبَ حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَخْبَرْتُهُ ثُمَّ قَالَ قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرٍ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ) متفق عليه .

ب- وعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ (رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ فَقَالَ أَتَفْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ. وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ). رواه البخاري ومسلم

ج- عن عبد الله ﷺ قَالَ (بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ جَاءَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ، فَقَدَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ يَرَفَعْ رَأْسَهُ فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - فَأَخَذَتْهُ مِنْ ظَهْرِهِ، وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «اللَّهُمَّ عَلَيكَ الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ - أَوْ أُبَيَّ بْنَ خَلْفٍ». شُعْبَةُ الشَّاكُ - فَرَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأُلْفُوا فِي بَيْتٍ غَيْرِ أُمَيَّةٍ أَوْ أُبَيٍّ تَفَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ، فَلَمْ يُلْقَ فِي الْبَيْتِ) متفق عليه.

د- قال عبد الله بن مسعود (أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله ﷺ ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واثهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه، فأعطوه الولدان ، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد).

ه- وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ (لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوديت في الله وما يؤدي أحد) رواه الترمذي.

قال ابن القيم: هذا يفهم منه معنيان:

أحدهما: أن ذلك في مرضاته وطاعته وسبيله، وهذا فيما يفعله الإنسان باختياره كما في الحديث (تعلمت فيك العلم).
والثاني: أنه بسببه وجهته حصل ذلك وهذا فيما يصيبه بغير اختياره وغالب ما يأتي قولهم (ذلك في الله) في هذا المعنى فتأمل قوله (ولقد أوديت في الله) وقول خبيب وذلك (في ذات الإله) وقول عبد الله بن حزام (حتى أقتل فيك).

٦- أن البلاء الذي يتعرض له الدعاة متفاوت.

٧- الدعاة لا يكرهون الناس على الإيمان بدعوتهم.

٨- مؤازرة الله لنبيه ﷺ .

٩- إثبات صفتي السمع والبصر لله -تبارك وتعالى-.

١٠- هدف الدعاة وغايتهم إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

١١- ينبغي للإنسان أن يصبر على الأذى لا سيما إذا أودى في الله فإنه يصبر ويحتسب وينتظر الفرج.

١٢- الحديث يثبت اختصاص بعض الملائكة بمهام كونية كالجبال (ملك الجبال) وأنهم جميعاً ممثلون لأمر الله، ومسخرون في نصره الرسول ﷺ وطاعته بأمر ربه .

١٣- أثمر هذا الصبر النبوي العظيم؛ إذ أخرج الله من أصلاب أولئك الكفار وأهل تلك البلاد قادة وعلماء وعبيداً حملوا راية الإسلام ونشروه في الآفاق، وأسلمت ثقيف وقريش بعد ذلك ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

٦٤٣ - وعنهما، قالت (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ تَعَالَى) رواه مسلم.

=====

(وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ) أي : أصيب بأذى من قول أو فعل .

(فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ) أي : فلا ينتقم لنفسه .

(إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى) وانتهاك حرمة الله تعالى: هو ارتكاب ما حَرَّمَهُ الله تعالى .

(فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ تَعَالَى) غضباً لله تعالى .

١- الحديث دليل على سعة عفو النبي ﷺ وسعة حلمه .

٢- فضيلة العفو عن الناس فيما يتعلق بحق الإنسان نفسه.

٣- الغضب لله لا ينافي الحلم والأناة والرفق والعفو.

٤- الغضب ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: مذموم.

وهو الغضب الدنيوي الذي حذرنا منه النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة في قوله ﷺ للرجل : لا تغضب .

القسم الثاني: وهو محمود.

ما كان لله وللحق.

كحديث عائشة هذا قالت عائشة (وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله) .

وغضب ﷺ لما شكى إليه الإمام الذي يطيل بالناس صلاته حتى يتأخر بعضهم عن الصلاة معه، غضب واشتد غضبه ووعظ الناس وأمر بالتخفيف.

٥- إقامة ﷺ حدود الله على من يستحقها ولا يمنعه من ذلك رفقه ورحمته؛ لأن ذلك من رحمة المحدود.

٦- الدلالة على أهمية الجهاد في سبيل الله وأنه من صفات المرسلين.

٧- فضيلة الغضب لله والانتقام لدين الله.

وقد أخرج الحاكم ... (ما لعن رسول الله ﷺ مسلماً بذكر- أي: بصريح- اسمه، ولا ضرب بيده شيئاً قطّ، إلا أن يضرب بها في سبيل الله، ولا سئل في شيء قط، فممنعه، إلا أن يسأل مأثماً، ولا انتقم لنفسه من شيء، إلا أن تنتهك حرمة الله، فيكون لله ينتقم ...) الحديث.

وأخرجه الطبراني في "الأوسط" من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه (وما انتقم لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله، فإن انتهكت حرمة الله كان أشد الناس غضباً لله) .

٨ - وجوب الغضب لله إذا انتهكت محارمه.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- الغضب لله ولشرائع الله محمود، وهو من هدي الرسول ﷺ ودليل على غيره الإنسان وعلى محبته لإقامة شريعة الله، أما الغضب للنفس فينبغي للإنسان أن يكتُمه، وأن يحلُم .

٩- وقد جاء في الصحيحين عن عائشة (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل) .

وقد تمثل النبي ﷺ هذا النوع المحمود من الغضب في عدة مواضع ومن ذلك :

أ- عن عائشة رضي الله عنها (أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ ، فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ : أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال: أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) متفق عليه .

ففي هذا الحديث : غضب الرسول ﷺ عندما انتهكت حرمة الله وهي أن أسامة بن زيد رضي الله عنه شفع في حد من حدود الله ، وقد نبه أسامة ﷺ فقال له معاتباً مع أنه حبه : أتشفع في حد من حدود الله ، ثم قام ونبه وخطب أصحابه فكان توجيهاً للأمة من بعدهم على عدم جواز الشفاعة في حدود الله .

ب- وعن عائشة رضي الله عنها قالت (دخل علي رسول الله ﷺ ، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه، وتلّون وجهه وقال: «يا عائشة: أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله) رواه مسلم . القرام: الستر الرقيق.

وفي هذا الحديث : غضب النبي ﷺ لما رأى تلك التصاوير المحرمة .

ج- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (قسم النبي ﷺ قسمة كعبض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله قلت أما أنا لأقولن للنبي ﷺ فأتيته وهو في أصحابه فساررت فشق ذلك على النبي ﷺ وتغير وجهه وغضب حتى وددت أني لم أكن أخبرته ثم قال : قد أودى موسى بأكثر من ذلك فصير) رواه البخاري.

وكان غضب النبي ﷺ في هذه الحادثة غضبة لله .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث: وفيه أن أهل الفضل قد يغضبهم ما يقال فيهم مما ليس فيهم .

د- عن زيد بن خالد الجهني (أن النبي ﷺ سأل رجل عن اللقطة فقال: اعرف وكاءها ... قال: فضالة الإبل؟ فغضب حتى احمرت وجنتاه، أو قال: احمر وجهه فقال: وما لك ولها! معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء وترعى الشجر، فذرهما حتى يلقاها ربها، قال: فضالة الغنم؟ قال: لك أو لأخيك أو للذئب).

قال ابن حجر: قوله (فغضب) إما لأنه كان نحى قبل ذلك عن التقاطها، وإما لأن السائل قصر في فهمه فقاس ما يتعين التقاطه على ما لا يتعين.

ه- وعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: (قال رجل: يا رسول الله إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول الله ﷺ ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضباً منه يومئذ، ثم قال: (يا أيها الناس إن منكم منفريين فمن أم الناس فليتجاوز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة) متفق عليه.

٦٤٤ - وعن أنس ﷺ قَالَ (كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَدَهُ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً، فَتَنَظَّرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ) متفق عليه.

=====

(كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: وَعَلَيْهِ بُرْدٌ) والبُرد - بضم الباء الموحدة - نوع من الثياب معروف، والجمع أبراد، وبُرودٌ.

(نَجْرَانِيٌّ) نسبة إلى نَجْران بلد معروف بين الحجاز واليمن، قاله في "الفتح"

(غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ) أي: الطرف.

(فَأَذْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ) أي: لحقه من ورائه، زاد هَمَام (من أهل البادية) وفي رواية الأوزاعي (فجاء أعرابي من خلفه).

(فَجَبَدَ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً) أي: جبد الأعرابي النبي ﷺ وهو بفتح الجيم.

(قَالَ أَنَسٌ فَتَنَظَّرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ) وفي رواية (إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ) والصفحة - بالفتح وبالهاء، وبدونها - من كل شيء جانبه، و"العُنُق": الرقبة، و"العاتق": ما بين المنكب والعُنُق، وهو موضع الرداء.

(وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا) أي: في صفحة عنقه ﷺ فالباء بمعنى "في".

(حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ) جملة حاليّة، وفي رواية هَمَام (فجاذبه حتى انشقَّ البرد، وحتى بقيت حاشيته في عُنُق رسول الله ﷺ).

(ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي) وفي رواية الأوزاعي: "أعطنا؟" أي مُر وكلاءك بأن يعطوا لي، أو مر بالعطاء لأجلي.

(مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ) أي: من غير صنيع لك في إعطائك، كما صرح في رواية، حيث قال: "لا من مالك، ولا من مال أبيك"، قيل: المراد به مال الزكاة، فإنه كان يُصَرَفُ بعضه إلى المؤلف.

(فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ) وفي رواية (فتبسّم، ثم قال: مُرُوا له).

(ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ) وفي رواية هَمَام (وأمر له بشيء).

١ - الحديث دليل على سعة خلق النبي ﷺ وسعة حلمه، حيث لم يعنف هذا الأعرابي الغليظ، بل إنه ﷺ ضحك.

قال القرطبي رحمه الله: يدلّ الحديث على ما وصف الله تعالى به نبيه ﷺ أنه على خلق عظيم، وأنه رؤوف رحيم، فإن هذا الجفاء العظيم الذي صدر من هذا الأعرابي لا يصبر عليه، ولا يحلم عنه مع القدرة عليه إلا مثله ﷺ، ثم ضحكه عند هذه الجبذة الشديدة التي انشقَّ البرد لها، وتأثّر عنقه بسببها حتى انفلت عن وجهته، ورجع إلى نحر الأعرابي دليل على أن الذي تمّ له من

مقام الصبر والحلم ما تمّ لأحد، وهذا نظير صبره ﷺ ، وحلمه يوم أحد حيث كُسِرَت رِبَاعِيَّتُهُ، وشُجَّ في وجهه، وهو في هذا الحال يقول: "اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون"، ﷺ وشرف وكرم. (المفهم)
وقال النووي: وفيه إِبَاحَةُ الضَّحِكِ عِنْدَ الْأُمُورِ الَّتِي يُتَعَجَّبُ مِنْهَا فِي الْعَادَةِ.

٢ - قوله (غليظ الحاشية) يدلّ على إثبات النبي ﷺ من الدنيا، والتبليغ منها بما أمكن من اللباس، والمطعم، وغيره، وأنه لم يكن بالذي يترقّه في الدنيا، ولا يتوسّع فيها.

٣ - عظم حلم النبي ﷺ وصبره، والأمثلة على حلمه ﷺ وقد تقدمت في الحديث السابق .

٤ - بيان جفاء الأعراب، وغلظة طبيعتهم، فهم كما أخبر الله تعالى بقوله (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ).

٥ - مزيد حسن خلقه ﷺ وصبره على سوء أدب هذا الأعراي.

٦ - استحباب مقابلة الإساءة بالإحسان، وعدم مقابلة الإساءة بمثلها.

٧ - يجب على الداعية أن يوطن نفسه على تحمل مثل هذه المكاره.

٨ - يستحب للداعي أن يطيب قلب المخطئ ولا يعنفه؛ لأن ذلك أنفع في نصحه، وأرجى لرجوعه إلى الحق.

٩ - وجوب الصبر وتحمل الأذى في سبيل الله.

١٠ - كمال خلق النبي ﷺ .

١١ - عناية الصحابة في نقل أخبار النبي ﷺ .

قال النووي: فِيهِ إِحْتِمَالُ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ مُقَابَلَتِهِمْ. وَدَفْعُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ وَإِعْطَاءُ مَنْ يُتَأَلَّفُ قَلْبُهُ، وَالْعَفْوُ عَنْ مُرْتَكِبِ كَبِيرَةٍ لَا حَدَّ فِيهَا يَجْهَلُهُ، وَإِبَاحَةُ الضَّحِكِ عِنْدَ الْأُمُورِ الَّتِي يُتَعَجَّبُ مِنْهَا فِي الْعَادَةِ، وَفِيهِ كَمَالُ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَلْمُهُ وَصَفْحُهُ الْجَمِيلُ.

٦٤٥ - وعن ابن مسعود ؓ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، صَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، ويقول: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (متفقٌ عَلَيْهِ).

=====

الحديث تقدم شرحه : ٣٦

(يَخْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ) وَهَذَا النَّبِيُّ الْمُشَارُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَقَدْ جَرَى لِنَبِيِّنَا ﷺ مِثْلُ هَذَا يَوْمَ أُحُدٍ .

قال الحافظ رحمه الله: لم أف على اسم هذا النبي صريحاً، ويَحْتَمِلُ أن يكون هو نوح ﷺ، فقد ذكر ابن إسحاق في "المبتدأ"، وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسير الشعراء" من طريق ابن إسحاق، قال: حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَهْمَ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ قَوْمَ نوح، كانوا يبطشون به، فيخنقونه، حتى يُعْشَى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون .

قال الحافظ: وإن صحَّ ذلك، فكان ذلك كان في ابتداء الأمر، ثم لما يئس منهم قال (رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) وقد ذكر مسلم بعد ترجيح هذا الحديث حديث: أنه ﷺ قال في قصة أُحُد: "كيف يُفْلَحُ قَوْمٌ دَمَوْا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ؟" ، فانزل الله : لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ .

١-الحديث دليل على عظيم حلم أنبياء الله وعفوهم وصبرهم على أذى أقوامهم .

فال ابن القيم : تضمنت هذه الدعوة العفو عنهم والدعاء لهم والاعتذار عنهم والاستعطاف بقوله لقومي .

٢- فضل الأعراض عن الجاهلين .

فقال تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا).

قال ابن كثير: أي: إذا سَفِه عليهم الجاهل بالسَّيِّء، لم يقابلوههم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيد شدة الجهل عليه إلا حِلماً.

وقال تعالى (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّعْنَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ).

وقال تعالى (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).

الصبر على الأذى في سبيل الله؛ فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أودوا، ومع ذلك صبروا وثبتوا.

٢- الرحمة بالجاهلين؛ فهذا النبي لم يدع على قومه، بل دعا لهم بالمغفرة.

٣- العفو عند المقدرة، وترك مقابلة الإساءة بالإساءة، متى كان العفو والإحسان مناسباً.

٤- الشفقة على الناس والحرص على هدايتهم؛ فقله: «اللهم اغفر لقومي» يدل على محبته الخير لهم رغم إيذائهم له.

٥- أن الجاهل قد يكون سبباً للمعذرة؛ فقله (فإنهم لا يعلمون) يبين أن بعض الناس قد يخطئون بسبب الجهل وعدم معرفة الحق.

٦- جواز حكاية قصص الأنبياء للعظة والاعتبار، والنبي ﷺ حكى لأصحابه قصة هذا النبي.

٧- فضل الدعاء للمسيء بالهداية والمغفرة بدل الانشغال بالانتقام منه.

٨- عِظَمُ خُلُقِ الرحمة والحلم؛ فالإنسان يظهر حقيقة حلمه عند تعرضه للأذى.

٩- أن الأذى لا يعني بالضرورة أن الداعي أو المصلح على باطل؛ فقد كان الأنبياء يُؤذون وهم على الحق.

١٠- التأسى بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الصبر والحلم والرحمة والثبات على الحق.

١١- بيان عظيم أخلاق النبي ﷺ؛ إذ كان يحكي هذا الموقف لأصحابه ليعلمهم الصبر والرحمة.

٦٤٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) متفقٌ عَلَيْهِ.

=====

الحديث تقدم شرحه : ٦٤٦

١- في هذا الحديث يُبَيِّنُ النبي ﷺ أَنَّ الْقُوَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ لَيْسَتْ قُوَّةَ الْجَسَدِ، أَوِ الَّذِي يَصْرُغُ غَيْرَهُ مِنَ الْأَقْوِيَاءِ، وَإِنَّمَا الْقُوَّةُ الشَّدِيدُ هُوَ الَّذِي جَاهَدَ نَفْسَهُ وَقَهَرَهَا حِينَمَا يَشْتَدُّ بِهِ الْغَضَبُ .

قال المناوي: (... ليس الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ) بَصَمٍ فَفَتَحَ: مَنْ يَصْرُغُ النَّاسُ كَثِيرًا، أَي: لَيْسَ الْقُوَّةُ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى صَرَعِ الْأَبْطَالِ مِنَ الرِّجَالِ، "إِنَّمَا الشَّدِيدُ" عَلَى الْحَقِيقَةِ "الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"، أَي: إِنَّمَا الْقُوَّةُ حَقِيقَةً الَّذِي كَظَمَ غَيْظَهُ عِنْدَ ثَوْرَانِ الْغَضَبِ، وَقَاوَمَ نَفْسَهُ، وَغَلَبَ عَلَيْهَا، فَخَوَّلَ الْمَعْنَى فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ إِلَى الْبَاطِنَةِ

٢- فضل الحلم .

٣- القوة الحقيقية ليست في قوة البدن فقط، وإنما في قوة ضبط النفس والتحكم فيها.

٤- كظم الغيظ عند الغضب من علامات قوة الشخصية؛ لأن الإنسان قد يقدر على الانتقام لكنه يختار ضبط نفسه.

٥- الغضب قد يدفع إلى تصرفات يندم عليها الإنسان، ولذلك حثَّ الحديث على التحكم بالنفس عند اشتداد الغضب.

٦- ضبط النفس يحتاج إلى مجاهدة، فهو أقوى وأصعب من مجرد التغلب على شخص في المصارعة.

٧-الإسلام لا ينفي القوة البدنية، لكنه يبين أن القوة الأسمى هي أن يملك الإنسان نفسه عند الغضب.